

القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين
في القرآن الكريم : "دراسة موضوعية".

**Psychological values derived from the dialogue between the
oppressed and the Arrogant In The Holy Qur'an
"an objective study".**

آلاء ملحم¹، أ.د. جهاد النصيرات²

¹الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم التفسير، الأردن، ala2020melhem@gmail.com

²الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم التفسير، الأردن، jh-alnu@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/19 تاريخ القبول: 2021/09/03 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تناولت هذه الدراسة الموضوعية الآيات المتعلقة بالحوار بين المستضعفين والمستكبرين بهدف استنباط القيم النفسية من مضمونها، وتفعيل هذه القيم في الارتقاء بالأفراد والجماعات فضلا عن إثراء الواقع.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تنتظم في أربعة مطالب، بالإضافة إلى تمهيد ومقدمة وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وباستخدام المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي خلصت الدراسة إلى الكشف عن أبرز القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين متمثلة في الحرية، المسؤولية الفردية، الثقة بالنفس، اليقين .

الكلمات المفتاحية: القيم النفسية؛ المستضعفون؛ المستكبرون .

Abstract:

This objective study aimed to deducting the psychological values out of the verses related to the dialogue between the Oppressed and the Arrogant in order to activate these values in the advancement of groups and individuals as well as enriching reality.

This study includes four main parts; a preface, an introduction and a conclusion which contains the most important findings and recommendations following a deduction and induction approach, the study revealed the most prominent psychological values out of the dialogue between the Oppressed and the Arrogant represented in: freedom, individual responsibility, self-confidence and certainty.

Keywords: values; psychological Oppressed; Arrogant.

المقدمة :

إن من أعظم نعم الله تعالى وأجلها أن أنزل علينا القرآن العظيم ليكون نورا للمهتدين ومنارا للمسترشدين، وسبيلا قاصدا ينير العقول ويقوم النفوس، ويرتقي بالإنسان فكرا وسلوكا، لا تجف روافده، ولا تنتهي معارفه. يُجاور العقول والنفوس حوارا ماتعا مشحونا بعاطفة روحية بما يبثه من دلالات وقيم.

لقد عُني القرآن الكريم بجوانب النفس الإنسانية والكشف عن مكوناتها وانفعالها، ودعا إلى التفكير بالنفس التي هي ذات الإنسان وحقيقته. مستخدما في ذلك جملة من الأساليب ومنها أسلوب الحوار، فهو حين يعرض النماذج الحوارية لا يُعنى بتبادل الألفاظ فحسب، وإنما بيان هذه الجوانب النفسية التي لا يمكن الإحاطة بها إلا بالنظر والتأمل.

وتعتبر دراسة القيم النفسية واحدة من هذه الجوانب، وهي دراسة هامة؛ حيث يرى علماء النفس أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشخصية ككل وبين القيم فإذا عرفنا قيم الشخص، فإننا نعرف شخصيته جيدا.

والحاجة ماسة في الآونة الأخيرة للنظر في القرآن الكريم بمنظور نتحرى فيه عمق التأثير وننهج فيه استنباط القيم من نصوصه، بما يرقى بالإنسانية في أبعادها وجوانبها المختلفة، واقعا ومستقبلا لتكون هي الفاعلة في تحركاتنا وحواراتنا في كل المواقف والقضايا الحياتية.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين؟
ويتفرع عليه مجموعة من الأسئلة و هي:

1. ما أهمية الحرية؟

2. ما أثر المسؤولية الفردية في حياة الأفراد؟

3. ما دلالة الثقة بالنفس؟

4. ما أثر اليقين على النفس؟

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف لعل أبرزها:

1. الكشف عن أهم القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين

في القرآن الكريم.

2. بيان أهمية الحرية ودورها في الارتقاء بالأفراد والجماعات.

3. بيان أثر المسؤولية الفردية في حياة الأفراد.

4. بيان دلالة الثقة بالنفس.

5. بيان أثر اليقين على النفس.

أهمية الدراسة :

1. تنبع أهميتها من كونها ترتبط بالقرآن الكريم .

2. إن هذه الدراسة جديدة لم يسبق تناول هذا الموضوع من هذا الجانب .

3. يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة المعلمون والعاملون على تربية النشء .

4. تقدم دراسة علمية أولية للباحثين، يمكن أن تؤدي إلى فتح الباب أمام هذا النوع

من الدراسات النفسية المستمدة من القرآن الكريم.

5. الواقع المعاصر في العالم العربي والإسلامي في ابتعاده الملحوظ عن قيمه وأخلاقه.

الدراسات السابقة :

لم نقف على أية دراسة مستقلة متخصصة في القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين، إلا أن هناك دراسات موضوعية تناولت الاستضعاف والاستكبار، ومنها:

- رسالة ماجستير "المستكبرون والمستضعفون"، للباحث غسان عاطف وإشراف الدكتور أحمد نوفل. الجامعة الأردنية- الأردن - 1408هـ - 1988م، استعرض فيها الباحث ظاهرة الاستكبار والاستضعاف في القرآن وأسبابها وطرق علاجها.

- رسالة ماجستير "منهج القرآن الكريم في حماية المستضعفين"، للباحث عبد السلام عبد القادر وإشراف الدكتور علي عوض الله. جامعة أم درمان الإسلامية- السودان - 1432هـ - 2011م، استعرض فيها الباحث الأسباب والوسائل التي تؤدي إلى الاستضعاف، ومظاهر رعاية القرآن للمستضعفين .

- رسالة ماجستير "أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم" دراسة موضوعية"، للباحثة رقية حاجي حسن وإشراف د. عبد الله الخطيب. جامعة قطر، 1440هـ - 2019م، استعرضت فيها الباحثة الأسباب التي تؤدي إلى الاستضعاف وسبل علاجها في القرآن.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في جانب الإطار النظري، حيث أفادت من التعريفات الاصطلاحية للمستضعفين والمستكبرين، وتختلف عنها في استنباط القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين حيث لم تعرض الدراسات السابقة هذا الجانب. فهذا الموضوع مما لم يُبحث من قبل في دراسة متخصصة مستقلة .

محددات الدراسة :

اقتصرت الدراسة على استنباط أبرز القيم النفسية من الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم، مع الإشارة إلى أن هذا النوع من الحوار لم يرد إلا في السور القرآنية الآتية : الأعراف، إبراهيم، سبأ، الصافات، غافر، وبما أنّ هذه الدراسة مقيدة بآيات الحوار بين المستضعفين والمستكبرين؛ فقد تكرر الآية الواحدة في أكثر من مطلب؛ وذلك لاستنباط قيمة نفسية مختلفة.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي القائم على تتبع آيات الحوار بين المستضعفين والمستكبرين وتبع أقوالا لمفسرين في تفسيرهم للآيات الكريمة، ثم المنهج الاستنباطي القائم على تحليل الآيات لاستنباط ما فيها من قيم نفسية. وتمت الاستعانة بأسفار التفسير المتنوعة، مع محاولة الاستنباط الذاتي؛ امتثالاً لأمر الله عز وجل بتدبر كتابه العزيز.

قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82] وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24].

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الدراسة، مشكلة الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجيتها، وخطتها.

التمهيد: وفيه تعريف لمحددات الدراسة.

المطلب الأول: الحرية.

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية .

المطلب الثالث: الثقة بالنفس .

المطلب الرابع: اليقين.

ثم الخاتمة؛ وفيها النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بمحددات الدراسة:

إن تحرير المصطلحات من الأمور الهامة التي تركز عليها الأبحاث والدراسات العلمية؛ لأنها تحدد التصورات الذهنية التي تدور حولها، لهذا تم تحرير مصطلحات الدراسة على النحو الآتي :

الفرع الأول : القيم لغة واصطلاحاً:

القيم لغة :

تذكر المعاجم اللغوية مجموعة من الدلالات لمفردة "قيمة" وجمعها "قيم" وتُظهر الأصول اللغوية أنّ القيمة مشتقة من الفعل "قَوَّمَ" الذي تعددت دلالاته، يقول الجوهري: القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم⁽¹⁾.

ويقول ابن منظور: القيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم⁽²⁾.

وعند الفيروز آبادي: "القيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء، وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام اعتدل، وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم⁽³⁾.

وجاء في المعجم الوسيط أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر⁽⁴⁾.

ومن خلال المعاني السابقة، نجد أن مادة (قَوَّمَ) استعملت في اللغة لعدة معان،

والذي يعيننا من المعاني الأقرب لتعريف القيمة التي تناسب موضوع الدراسة:

1- الثبات والدوام على الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75] أي مُلازماً ثابتاً على طلبه⁽⁵⁾.

2- الاستقامة، ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام:]، وأمرٌ قيم مستقيم، وخُلِقَ قِيَم: حسن ودين قِيَم : مُستقيم لا زيغ فيه⁽⁶⁾.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

القيم اصطلاحاً :

تضمن مصطلح القيم الكثير من التعريفات التي تنوعت واختلفت باختلاف اتجاهات أصحابها ومنطلقاتهم الفكرية، ومجالاتهم الدراسية والثقافة التي ينتمون إليها بكل ما تحمله تلك الثقافة من تعاليم دينية ورؤى فلسفية وتربوية واجتماعية وسياسية واقتصادية تعد كلها أصولاً فكرية تحكم النظرة⁽⁷⁾.

وتُعرف موسوعة المعارف التربوية القيم على أنها: "أحكام على الأشياء والمواقف.. وعلى السلوك بوجه عام، على الفكر أو الفعل أو الانفعال، فهي أحكام تقويمية بالخير أو الشر، بالخطأ أو الصواب، بالقبح أو الجمال، بالنفع أو الضرر، كما أنها أحكام تفضيلية أي اختيار وتفضيل لسلوك ما أو نشاط ما يشعر معه صاحبه أن له مبرراته بناء على المعايير التي تعلمها من الجماعة وخبرها في حياته المعاشة في علاقاته المختلفة من خلال الثواب والعقاب ودرجة الإشباع لحاجاته المادية والمعنوية المختلفة"⁽⁸⁾.

ويعرف علماء النفس القيم على أنها: الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء. وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه"⁽⁹⁾.

الفرع الثاني: النفسية لغة واصطلاحاً:

النفس لغة تطلق على عدة معانٍ منها: الروح ويُقال خرجت نفسه، ويُقال فلان ذو نفس أي خُلِقَ وجلد وهي بمعنى الجسد وهي بمعنى القلب، وهي بمعنى الدم، وبمعنى حقيقة الشيء، وبمعنى قوة الخير والشر في الإنسان .

النفس اصطلاحاً: يعد الغزالي (505هـ)، من أبرز مفكري المسلمين، الذين أولوا أهمية كبيرة للنفس من جميع جوانبها، وقد ذكرها في مواطن متعددة من مؤلفاته، منها (معارج القدس، إحياء علوم الدين) وإن اختلفت التعابير ولكنها تؤدي إلى معنى واحد .

ويرى الغزالي أن مصطلح النفس يطلق بمعنيين؛ الأول: أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية وهو المفهوم عند إطلاق الصوفية، والثاني: أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت⁽¹⁰⁾.

ويراد بالنفس إما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها⁽¹¹⁾.

وفي "التعريفات" عند الجرجاني (816هـ) النفس هي: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه"⁽¹²⁾.

النفس عند علماء النفس فهي: "جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة؛ إدراكية، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية؛ سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الوهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلها وتبادلها التأثير المستمر والتأثر، مكونين معا وحدة متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته"⁽¹³⁾.

أما "النفسية" فمن حيث كونها مصطلحا مفردا فهي تتعلق "بعلم النفس" تعلقا مباشرا، وعلم النفس (في الطب النفسي) هو فرع من العلوم يبحث في السلوك والخبرة والأفعال والعمليات العقلية للإنسان، ويبحث في الخبرة التي يمر بها الكائن الحي خلال تفاعله مع بيئته، وفي الحياة الشعورية واللاشعورية بمظاهرها الداخلية والخارجية⁽¹⁴⁾.

ونخلص إلى القول: بأن النفس تدل على الإنسان بجملته من الروح والجسد في جميع مكوناته وفي جميع دوافعه وما هو مستعد له من تعزيز وإعلاء أو انحراف وهبوط. أما النفسية من حيث كونها مصطلحا مفردا فهي تتعلق بعلم النفس الذي يدرس النفس الإنسانية على

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية اعتباراً أنّها سلوك صادر عن دوافع ذاتية للإنسان، ويتضمن ثلاثة جوانب رئيسية: الجانب المعرفي المتعلق بالعمليات العقلية، الجانب الحركي المتعلق بالأنشطة التفاعلية، والجانب الوجداني المتعلق بالمشاعر والاتجاهات والقيم؛ والقيم النفسية تتضمن التركيز على قيم الفرد ومحدداتها المختلفة في مختلف جوانبها.

الفرع الثالث المستضعفون لغة واصطلاحاً :

الاستضعاف لغة : مشتق من الضَعْف، (الضاد والعين والفاء) أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة وهو المراد هنا، ويدل الآخر على أن يزداد الشيء على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر. فالأوّل: الضَعْفُ والضُّعْفُ، وَهُوَ خِلَافُ القُوَّةِ. يُقَالُ: ضَعُفَ يَضْعُفُ، وَرَجُلٌ ضَعِيفٌ، وَقَوْمٌ ضُعَفَاءُ وَضِعَافٌ⁽¹⁵⁾.

ووردت مادة (ضع ف) وما تصرف منها سواء بمعنى الاستضعاف أو بمعنى الضعف أو بمعنى الضعف في أربع وخمسين موضعاً كما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن⁽¹⁶⁾.
الاستضعاف اصطلاحاً : علاقة بين طرفين طرف مُستضعَف وطرف مُستضعِف. إنّه إيقاع الظلم والقهر والاستغلال من فئة قوية مهيمنة على فئة ضعيفة مسلوطة الحقوق⁽¹⁷⁾.
والاستضعاف الذي ذكره القرآن نوعان:

الأول: استضعاف حقيقي: المستضعف في هذه الحالة يكون معذورا في ضعفه، فهو في قرارة نفسه يرفض الذل والهوان والخنوع والتخلي عن الإيمان لإرضاء الفئة المستكبرة، لكنه لا يستطيع تغيير وضعه بسبب ضعف في الجسم أو قلة في العدد والعدة. وهو ما كان عليه معظم أتباع الرسل في مختلف الأزمان.

الثاني: استضعاف نفسي (وهمي) بسبب قوة خارجية ضاغطة عليه: المستضعف في هذه الحالة يكون بمقدوره تغيير واقعه الذي يعيشه، لكنه لا يفعل ذلك لمرض في قلبه وهوى في نفسه، وليس بسبب قوة خارجية ضاغطة عليه⁽¹⁸⁾.

الفرع الرابع المستكبرون لغة واصطلاحاً:

الاستكبار لغة: قال ابن فارس: "الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر"⁽¹⁹⁾.

وجاء في "المفردات": "الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة: فالكبر: الحالة التي تخصص بها الإنسان في إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره"⁽²⁰⁾.
والاستكبار على نوعين:

الأول: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وجميع ما ورد في القرآن الكريم من الاستكبار من هذا النوع⁽²¹⁾.

والمخالصة أنّ صيغة كبر لها معنيان أحدهما حقيقي وهو : الزيادة في السن، وثانيهما مجازي وهو: الزيادة في كلفة الشيء .

أما الفعل "استكبر" ومشتقاته فقد ورد في القرآن في ستين موضعاً⁽²²⁾ على وزن "استفعل" بمعنى تكبر على وزن "تفعل" للدلالة على المبالغة في التكبر.

الاستكبار اصطلاحاً: "أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، طالباً ذلك بالتشبع وهو التزيرين بأكثر مما عنده"⁽²³⁾، والاستكبار ليس صيغة للتكبر ونوعاً من الشموخ يوصف به الفرد الأناني المستعلي، وإنما هو وجود تكتل اجتماعي سياسي اقتصادي يطمأ المستضعفين ويعلو في الأرض بغير الحق ويفسد فيه ويصد عن سبيل الله، ذلك السبيل الذي لا يقر بحال أن يعلو أحد من خلق الله على أحد، أو يظلم أحد أحداً⁽²⁴⁾.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

المطلب الأول: الحرية :

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان أسمى مخلوق جاء من العدم إلى الوجود فميزه بالعقل والإرادة، وكرمه فمنحه الحرية التي هي "من أجمل ما منحه الله للإنسان بعد العقل، والحرية شيء يتصل بالروح والعقل وغياهما عن الإنسان يحمل معنيين الاعتداء على منحة من الله، وموت الإنسان معنويا وانحداره من مرتبة الإنسانية بشرفها إلى رتبة الدواب المسخرة التي تُقاد من أعناقها بالحبال"⁽²⁵⁾.

وما الحديث المتسارع عن حقوق الإنسان إلا أحد المظاهر البارزة لمسألة الحرية الإنسانية بكل تجلياتها، فالحرية قيمة عليا جامعة وضرورة من ضرورات الحياة ولا يحق لأي جهة مهما كانت سلب أي إنسان حريته التي هي حق طبيعي وليست منحة من ملك أو حاكم، أو قرارا صادرا عن منظمة دولية.

وهي مطلب كل شعوب الأرض، وكل البشرية، ولا يوجد نظام مهما كانت درجة ديمقراطيته حقيقية أو استبدادية لا ينص على تقرير حرية الإنسان بمختلف أنواعها في إعلاناته لحقوق الإنسان.

والحرية "بجد ذاتها حاجة نفسية لا يستطيع الفرد العيش بسلام داخلي وخارجي دون أن يحياها شعورا وموقفا، وهي من أساسيات التحرر من قيود التوتر والخوف والألم، ذلك أن عدم القدرة على التعبير والتصرف بحرية يعيق الاستمرار في الحياة بتناغم وانسجام بين معطيات الفرد الداخلية وبين ما يحيط به من مستجدات"⁽²⁶⁾.

ونعرض لنماذج من مشاهد الحوار التي تدور يوم القيامة بين المستضعفين والمستكبرين، نستنبط من ثناياها هذه القيمة الثمينة: قال تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ ﴿٢١﴾﴾ [ابراهيم: 21]، في موقف الآخرة يجتمع المستضعفون والمستكبرون الأتباع والمتبوعون، تمتلئ بهم الساحات، بارزون لله، موقوفون أذلاء من غير إرادة منهم ولا اختيار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: 31].

والبروز الظهور بعد خفاء، وعبر سبحانه بالفعل الماضي "بَرَزُوا" مع أنهم ظاهرون له دائماً على كل أحوالهم "لأنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله على أنفسهم، وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية" (27).

يُرفع الستار بحدوء، يفتح المشهد أمامنا، وابتدئ الضعفاء الحوار: "فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟" "والضعفاء: عوام الناس والأتباع، والذين استكبروا: السادة، لأنهم يتكبرون على العموم" (28).

والضعف في هذه الآية ليس هو الضعف المادي بل هو ضعف النفس، وتخلي الإنسان عن الحرية التي وهبه الله إياها، خلقنا الله سبحانه وتعالى سواسية كأسنان المشط، وهب الله كلا منا فكراً يميز به الخير من الشر، والحق من الباطل، حينما يعطل الإنسان فكره ويجمده، أو يسيئ استعماله ويتبع الأقوى بعقيدته، وتفكيره، وقيمه يكون قد تخلى باختياره عن حرية الاعتقاد التي منحه الله إياها، وليس في الأرض كلها جهة تستطيع أن تلزمك على أن تعتقد بعقيدة ما، لأن هذه الجهة مهما قويت لا تستطيع أن ترى ما في فكرك من عقيدة (29).

"والضعف ليس عذراً، بل هو الجريمة؛ فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفاً، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله. وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعا عن نصيبه في الحرية التي هي ميزته ومناط تكريمه أو أن ينزل كارها" (30).

والتبع تابع مثل خادم وخدم وجائز أن يكون مصدراً سُمي به، أي كنا ذوي تبع (31). ولا مانع من أن يراد الأمران: المصدر والجمع، فهؤلاء الضعفاء أتباع وتبع لأسيادهم، وهذا معنى الجمع. كما أنهم خالصوا التبعية والمتابعة والاستسلام لهم وهذا معنى المصدر (32).

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية وجاء تقديم (لكم) على (تبعاً) لإفادة تخصيص التبعية لهم، وقصرها عليهم دون غيرهم، وحبس حياتهم رهن إشارتهم، وفيه إظهار مدى ندامتهم وحسرتهم على تلك التبعية لسادتهم الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا عنهم ولا عن أنفسهم شيئاً وقد هلك الجميع⁽³³⁾ .

ويظهر تأثير " الانعكاسات النفسية على أسلوب الحوار قوة أو ضعفاً، فكثيراً ما يدلنا السياق على حالة المحاور النفسية والاجتماعية في الوقت نفسه، إذ المعروف مثلاً أن الذي يتكلم مع الآخرين وخلفه قوة ما" سواء أكانت بشرية أم غير ذلك" يكون أسلوبه في الخطاب مختلفاً عن شخص آخر يخاطب أناساً ولا يعتمد على أي مصدر قوة، فالأول تظهر في ألفاظه نبرة الصوت العالي وتحريك الأيدي وتفاعل بقية الأعضاء التي تشعر المخاطب بنوع من التحدي، بينما الثاني لا تكاد ألفاظه تفصح عن مراده وصاحبها لا يعدو في خطابه أسلوب الاستلطاف واختيار الألفاظ الحسنة"⁽³⁴⁾ .

وهذا ما نلاحظه في حوار المستضعفين فأسلوب الاستلطاف الممزوج بالذل والأمل المغلف بالأدب والرجاء في سؤالهم "فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ يعكس نفسياتهم الضعيفة.

وقد أفاد سؤالهم "التوبيخ والتبكي"؛ أي فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله الواقع بنا ولو كان شيئاً يسيراً، إن استطعتم ذلك فأظهروا مكاتكم عند الله التي كنتم تدعونها وتغروننا بها في الدنيا⁽³⁵⁾ .

أما جواب المستكبرين: ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهَدَيْتَكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ۝١٦ ﴾ فهو جار على معنى الاستفهام التوبيخي العتابي إذ لم يجيبوهم بأننا لا نملك لكم غناء ولكن ابتدءوا بالاعتذار عما صدر منهم نحوهم في الدنيا، ولا يخلو من إلقاء اللوم عليهم في التبعية من غير تفكير وتبرير⁽³⁶⁾ .

ينتهي المشهد وقبل أن يُسدل الستار، يعترف المستكبرون بعظمة الله تعالى، ولكن اعترافهم في ذلك الوقت لا يجدي لأنه اعتراف بعد أوان؛ فلم يعد هنالك مفر ولا محيص.

ويتجدد اللقاء بين المستكبرين والمستضعفين، ولكن لقاءهم هذه المرة في النار، ويدور بينهم حوار عميق، وتتعالى أصواتهم ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ قَيْثُومُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: 47:48].

ويبدو أنه حوار عقيم لا يجدي نفعا؛ إذ يحمل الفعل المضارع "يَتَحَاوَرُونَ" في طياته هذه الدلالة؛ فهو جدال مستمر على باطل، ينتهي باعتراف المستكبرين ولأول مرة، أن المقام الآن مقام عدل فلا داعي للوم والتأنيب؛ فالتوكيد بـ "إِنَّا" أفاد الشمول، أي جميعنا في النار؛ مصيرنا واحد.

"لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيو لا وإمعات ولم يخفف عنهم أنهم كانوا غنما تساق لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار، منحهم الله كرامة الإنسانية وكرامة الاختيار، والحرية، ولكنهم تنازلوا عنها جميعا وانساقوا وراء الكبراء والطغاة، وما كان تنازلهم عما وهبهم الله واتباعهم الكبراء ليكون شفيعا لهم عند الله. فهم في النار. ساقهم إليها قادتهم كما كانوا يسوقونهم في الحياة سوق الشياه" (37).

وقد يدفعهم إلى هذا التنازل شعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة.. وهو شعور خبيث يغض من إحساس الفرد بنفسه؛ يدعوه إلى قبول الذل، وإلى التنازل عن كثير من كرامته، وكثير من حقوقه. ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يُحقق للناس العزة والكرامة، وأن يبيث في نفوسهم الاعتزاز بالحق، والمحافظة على العدل... لهذا كله يعنى عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة، فالحياة بيد الله، وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة (38).

يقول الكواكبي في "طبائعه": إن من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل ويسمى استبداد المرء على نفسه وذلك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حرا، قائده العقل لا أن يكون عبدا قائده الجهل... خلقه منفردا غير متصل بغيره ليملك اختياره في حركته وسكونه (39).

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية
فليس له أن يتنازل عن حريته في ما يعتقد، ويستسلم بحجة تأثير القوة الظاهرة التي
يملكها المستكبرون لأن القضية متعلقة بالرغبة الذاتية وراء الانسحاق خلفهم.
ولعل نظرة سريعة لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ [سبأ:32]
تكشف لنا عن هذه القضية عن واقع العبودية الذليلة والمشاعر الانهزامية للمستضعفين في
الدنيا، ومغبة تسليمهم المطلق للمستكبرين .

إن الحرية المطلوب أن نحيها اليوم تتمثل في ترك الطاعة العمياء، في أن لا يملك غيرنا
قرارنا، في رفض تسليم عقولنا سواء بسطوة الاستبداد الفكري أو سياسة القطيع، في هجر
سفاسف الأمور، في رفض التهاون لمنطق الظلم وأخلاقياته، حرية لا تتجمد عند حدود
الكلمات والشعارات. حرية تتجسد في الممارسة والسلوك في إطار النظام العام وميزان
الشرعية.

"إنك قد تكون عبدا حتى لو كنت تملك حرية الحركة في الساحات كلها، وذلك
عندما لا تملك إرادتك، وقد تكون حرا وأنت لا تستطيع أن تحرك رجلحك في الزنزانة، لأنك
تملك إرادتك، فأن تكون حرا يعني أن تكون إرادتك حرة، وأن تكون الإنسان الذي يصبر
على الأذى، ويصبر على الحرمان في سبيل القضايا الكبرى"⁽⁴⁰⁾.

المطلب الثاني: المسؤولية الفردية:

تعد المسؤولية الفردية واحدة من القيم التي أرساها القرآن الكريم، وحرص على
تأكيدا إعمالا مبدأ العدل في الحساب؛ إذ أن مناط التكليف فرديا، فلا يتحمل الإنسان
إلا مسؤولية أفعاله واختياراته ولا يؤخذ بجريته غيره.

ويرى دراز: أن المسؤولية قبل كل شيء استعداد فطري، إنها هذه المقدرة على أن يلزم
المرء نفسه على أن يفني بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة، فهي ليست إلا سمة من
السمات المميزة التي يأخذها الإنسان من جوهر ذاته⁽⁴¹⁾.

ونقف مع هذه المشاهد الحوارية؛ وهي مشاهد تحمل في طياتها أبعادا نفسية تلقي بظلالها على السامع، فتجعله يتأثر فيها، ويتفاعل معها، توقظ في نفسه حس المسؤولية، وتدعوه ليقف عندها وقفة متأنية متأملا في حياته ماذا قدم؟ وإلى ماذا سيكون مآله؟ فإنه سيقف للحساب وحيدا وسيتحمل وحده النتائج، ولن ينفعه الندم.

قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿١٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿١١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غُورِينَ ﴿١٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٣﴾ ﴿

[الصافات: 27-32]

أمام موقف الحساب يشتد الخصام، وترتفع الأصوات المتنافرة، كلٌ يلقي بالمسؤولية على غيره في السبب الذي أوصله إلى العذاب. والضمير في قوله تعالى "يَتَسَاءَلُونَ" يعود على "الأتباع والرؤساء المضلون، يسأل بعضهم بعضا سؤال تقريع بطريق الخصومة والجدال" (42).

وللمفسرين جملة من الأقوال في معنى "اليمين" منها (43): أن المراد من اليمين: جهة الخير والنصيحة واليمن، أي يقول الضعفاء للرؤساء إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا توهونا وتحذعونا؛ أن ما أتم عليه أمر ميمون فيه الخير والفوز، فأين مصداقه وقد نزل ما نزل؟ وقيل المراد باليمين: القوة والغلبة والقهر، أي يقول الضعفاء للرؤساء كنتم في الدنيا تقهرونا وتجبرونا بقوتكم وسلطانكم على اتباعكم لأننا كنا ضعفاء أذلاء .

وقيل المراد باليمين: الموثيق والأيمان، أي يقول الضعفاء للرؤساء كنتم تقسمون لنا أن ما تدعوننا إليه هو الحق، فوثقنا بأيمانكم وتمسكنا بعهودكم التي عهدتموها لنا فأين صدقكم من هذا؟

ولا مانع في أن تحتل الآية كل هذه الدلالات، فالرؤساء أوهوا الضعفاء بأنهم على الحق، وأقسموا لهم على هذا ليصدقوهم، وأجبروهم بقوتهم وسلطانهم على اتباعهم.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

هذا المشهد؛ مشهد إسقاط المسؤولية يُجسد واقعنا تجسيدا حيا وإن اختلفت دوائره "وقد يلقي جيل من الأجيال مسؤولية تخلفه على كاهل الأجيال السابقة التي لم تخلف سوى الديون والأرض المحروقة؛ حتى وصل الأمر إلى أن أصبح لسان الحال ينطق بالمقولة الذائعة "مشكلاتنا صنعها الجيل السابق وسوف يحلها الجيل اللاحق" أما نحن فأبرياء من كل تبعة! هذا التخريج السيئ لما نحن فيه أفرز شعورا ب (الجزيرية)؛ فكل ما يجري في مجتمعاتنا مفروضا فرضا، ولا حيلة لنا فيه، كما أثمر الإسقاط أيضا ضعف الشعور بالحاجة إلى النقد الذاتي... والعاقبة المتحارجة التي نفضي إليها هي لا محاسبة ولا مراجعة والحصاد هو مزيد من التأزم ثم التفجر النفسي والاجتماعي" (44).

وأمام مشهد سورة سبأ نستشعر فيه كما هي العادة "الجو القرآني الرائع النابض بالحياة، لنعيش فيه كل ذلك في صورة لا تتسع ملامحها لمساحات كبيرة من الخطوط، ولكنها تندفق في أعماقها ومعطياتها بالكثير" (45).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نَتَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَننَّ لَكِنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا أَننَّ صَدَدْنَا عَنْ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالتَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُؤُنْدَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ [سبأ: 31-33]

يصور الله عز وجل حال "هؤلاء الظالمين وهم موقوفون على غير إرادة منهم ولا اختيار؛ إنما هم مذنبون بالوقوف في انتظار الجزاء عند ربهم، ربهم الذي يجرمون بأنهم لن يؤمنوا بقوله وكتبه. ثم هاهم أولاء موقوفون عنده، لو ترى يومئذ لرأيت هؤلاء الظالمين يلوم بعضهم بعضا، ويؤنب بعضهم بعضا، ويلقي بعضهم تبعة ما هم فيه على بعض" (46).

ربما ظن أولئك المستضعفين أنهم يستطيعون النجاة بإلقاء المسؤولية على الذين اتبعوهم، كعادتهم في الدنيا بالتهرب من تحمل المسؤولية ﴿لَوْلَا أَنْتَ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣٦) الأمر الذي يدفع المستكبرين للرد عليهم بقوة، منكرين عليهم تحميلهم المسؤولية: "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ" فهم دخلوا الكفر بإرادتهم، وكفرهم هذا صدهم عن قبول الإيمان، أما دعوة المستكبرين لم تكن ملزمة لهم؛ لأنها دعوة بغير دليل.

ونلاحظ مجيء الخطاب للمستضعفين بالجملة الإسمية في هذا الموضع من السورة: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (سأ:31)، ونظيره في سورة الصافات: ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ (الصافات:30)، يؤكد على هذا المعنى فهو مؤذن "بتعمدهم إياه وتصميمهم عليه على بصيرة منأنفسهم دون تسويل مُسَوَّل" (47).

ويعود المستضعفون ليبينوا للمستكبرين أنهم هم السبب في ضلالهم، ﴿بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ﴾ والمكر: "الاحتتيال بإظهار الماكر فعل ما ليس بفاعله ليغر المحتال عليه. والمعنى ملازمتهم المكر ليلا ونهارا، وهو كناية عن دوام الإلحاح عليهم في التمسك بالشرك" (48).

ونستدل من تنكير لفظة "مكر" على عمومته في كل زمان ومكان، وفي إضافته ليل والنهار وهو ما يسمى "بالإسناد المجازي" إشارة إلى أن مكرهم مستمر يستغرق كل الأوقات والأزمنة. وفي الآية إشارة إلى مدى الحقد الذي يحمله الكافرون والمتآمرون تجاه الإسلام والمسلمين من خلال التخطيط الدائم ليلا ونهارا سرا وعلانية، بشتى الوسائل والطرق، لإيقاع المسلمين في كل أنواع الضلال.

إن هذا المكر الذي يحاك لنا يفرض علينا، ضرورة التحرك، والتخطيط المضاد، عملا وفكرا، وإن تمكين القيادات الفكرية من التخطيط لسياسات الأمة، يُحصنها من الأمراض المحدقة بها ويضمن لها الاستمرارية.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

إن مرض المسلمين، ليس في عدم وجود المنظمات والمخططات، بل في جمود العقل والفكر، فإن كان لا بد من منظمات ومخططات فيمكن في التنظيم والتخطيط، في سبيل رفع الآصار والأغلال عن القلوب المقفلة. إن التنظيم والتخطيط ليسا في حد ذاتهما هدفا، بل هما أداة ووسيلة، قد تساعد على التخلص من الآصار والأغلال، وقد تُثبِّتها، أو تزيدها، أو تستبدلها بأثقل منها. وما لم ندرك هذا بوضوح فسنظل ندور في التيه (49).

والضمير المرفوع في قوله تعالى "أَسْرُوا" راجع إلى المستضعفين والمستكبرين، والإسرار الإخفاء أي: "أخفوا الغم والأسف على ما فعلوا من الظلم؛ والمراد إخفاء آثارها كالبكاء، وعض اليد وإلا فهي من الأمور الباطنة التي لا تكون إلا سرا وذلك لشدة حيرتهم وبهتهم لما رأوا العذاب" (50).

هذا المشهد الصامت من مشاهد الألم النفسي "وأَسْرُوا النَّدَامَةَ" يهز المشاعر، ويُحرك الضمائر. يُجِيل إليهم في هذه اللحظات شريط حياتهم، حدقوا النظر في تفاصيله، كانت أعمالهم ومواقفهم في الدنيا تتراءى أمامهم، حاولوا أن يتكلموا ما استطاعوا، دُفنت الكلمات في صدورهم، وأصابهم ما أصابهم من الكمد. ما أقصر الحياة ! وما أوجع الندم! بدا العذاب ماثلا أمامهم، وأصوات الأغلال حاضرة، حاولوا الفرار ما استطاعوا، أيقنوا أنهم على مسرح الآخرة، فاستسلموا لمصيرهم أذلاء مقيدون يُجرون إلى النار .

ما أعجب شأننا في هذه الحياة نعلم أن بقاءنا فيها محدود، وإقامتنا فيها مُنصرمة، ومع ذلك فإننا لنغرق في الأمل حتى لكأنَّ الخلود من لوازم الحياة... هذه الحياة على اتساعها قصيرة الأمد بالنسبة إلى الإنسان فليس له من زمنها إلا وقت قصير وليس له من مباحها إلا لذائذ محدودة، وليس له من خيراتها إلا قدر ضئيل، إنك مهما عمّرت منها فلن تعيش إلا عشرات من السنين ليست بالنسبة إلى الزمن المستمر إلا جزءا من ملايين الأجزاء (51).

إن البكاء على اللبن المسكوب لا ينفع وكثرة اللوم، والمبالغة في عتاب النفس يفقدها الكثير من القدرة على الحركة والنشاط، والعاقل من يلوم نفسه للتقصير ثم يعزم أمره على حسن التدبير ثم يتبع النوايا بالأفعال ويستعصم بحبل الله المتين .. فمن تجاوز في لوم نفسه عن الاعتدال ربما زجَّ بها في مضائق الألم وجعلها أسيرة الحسرات فيفسدها من حيث أراد إصلاحها ويوقفها من حيث أراد لها الانطلاق⁽⁵²⁾.

لقد كان من أهداف الإسلام في القرآن الكريم تحرير إرادة الإنسان من الخضوع لتأثير القوة الظاهرة التي يمتلكها المتزفون والمستكبرون كسبيل من سبل تحريره من الاستسلام لأفكار هؤلاء ونزواتهم ومخططاتهم التي لا تسير في اتجاه الخير غالباً، بل تسير باتجاه الشر دائماً وذلك من أجل أن يبقى الإنسان مستقل الإرادة لنفسه كي يمارس مسؤوليته في المجتمع انطلاقاً من قناعاته الذاتية بما يعمل، فلا يستسلم لفكرة أنه محكوم للغير في تفكيره وحياته وأن غيره مسؤول عنه، وهو مجرد آلة مسخرة تتحرك بإرادة الآخرين وتقف بإرادتهم أيضاً⁽⁵³⁾.

وفي ظل ما نعيشه اليوم من تحديات متسارعة على المستويين الفردي والجماعي؛ فإنه ينبغي على كل إنسان تفعيل مسؤوليته الفردية وعدم الاكتفاء بإلقاء المسؤولية على الأنظمة والقادة، وتسخير كل الإمكانيات التي أنعمها الله تعالى عليه تسخيراً إيجابياً ومثمراً، فقد منحه عقلاً مفكراً، كما منحه حرية الإرادة ليتحمل مسؤوليته، وينطلق في ممارسة حياته عن وعيوب صيرة، وإدراك يقظ تجاه نفسه وتجاه الآخرين وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه، إذ "إنّ الهويّة الفردية لا تكتمل إلا بالاندماج في وعي جماعي، حينئذ يشعر الإنسان بقيمته كفرد مجرد، وقيمته كفرد في جماعة أو مجتمع، لأنّ فلسفة الحياة تكمن في أن ينظر الإنسان لغيره كما ينظر لنفسه، واعتبار ذلك من صميم الإيمان"⁽⁵⁴⁾.

وإن ما يُعزز من تحمل الإنسان لمسؤوليته في الحياة بقوة وصلابة؛ أن لا يغفل عن محاسبة نفسه ومراقبة ربه فمهما طرحت القوانين الوضعية "من حمايات أخلاقية لبرامجها، ورسمت قيماً مثالية تحميها من التبدد والاستغلال والتميع، فإنّ هذه الحميات وتلك القيم لا تعدو أن تكون نظريات معلقة في عالم المثال، مادامت لا تمتلك القوة الداخلية

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية المركوزة في أعماق الإنسان، تحولها إلى ممارسات وسلوك تحرسها المسؤولية، وتعمقها يقظة الضمير، وتحركها رقابة الله الدائمة صوب الأحسن والأكمل" (55).

فالمؤمن إذا تربي على مراقبة الله فإنه يحكم مساره وفق ما أراد الله تعالى، وينضبط عملاً وسلوكاً على موازين الخير والفضيلة، لأنه يوقن أن الجميع "سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وأنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة... فمن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب خفت في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال حسابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته" (56).

المطلب الثالث: الثقة بالنفس:

إن من نعم الله على الإنسان أن يمنحه القدرة على معرفة نفسه، ووضعها في الموضع اللائق بها، لأن جهل الإنسان بذاته يجعله لا يقدر قيمة نفسه.

والثقة بالنفس لا تعني الغرور أو الغطرسة، وإنما هي نوع من الاطمئنان المدروس إلى إمكانية تحقيق النجاح والحصول على ما يريده الإنسان من أهداف. فالمقصد من الثقة بالنفس هو الثقة بوجود الإمكانيات والأسباب التي أعطاها الله للإنسان، فهذه ثقة محمودة وينبغي أن يتربي عليها الفرد ليصبح قوي الشخصية، أما عدم تعرفه على ما معه من إمكانيات، ومن ثم عدم ثقته في وجودها، فإن ذلك من شأنه أن ينشأ فرداً مهزوز الشخصية لا يقدر على اتخاذ أي قرار. ونرصد ما تردد في حوارات المستضعفين والمستكبرين من عبارات عكست دلالات الثقة بالنفس.

يمثل المشهد الذي نحن بصدد الحديث عنه "الاستضعاف الحقيقي" الذي كان عليه المستضعفون المؤمنون من أتباع الرسل كأتباع صالح عليه السلام على أيدي الملائم المستكبرين من قومه قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلذَّيْبِ اسْتَضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف: 75-76]

وأول ما يطالعنا في هذا المشهد الالتفات حيث "عدل الملاء الذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السلام إلى اختبار تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم" (57).

ووصف سبحانه قومه بـ (الذين استكبروا) لبيان فظاعة كبرهم وتعاضمهم على قومهم وإستذلالهم إيّاهم... واختار طريق الموصولية في وصفهم، ووصف الآخرين بالذين استضعفوا لما تومئ إليه الصلة من وجه صدور هذا الكلام منهم، أي أن استكبارهم هو صارفهم عن طاعة نبيهم، وأن احتقارهم المؤمنين هو الذي لم يسغ عندهم سبقهم إيّاهم إلى الخير والهدى (58).

والغرض من سؤال الملاء: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾؟ واضح أنه للتهديد والتخويف، ولاستنكار إيمانهم به، وللسخرية من تصديقهم له في دعواه الرسالة من ربه" (59).

وأمام السؤال كان الجواب... إنه جواب الثقة بالنفس. جواب من لا يخاف التهديد والتخويف، لقد أعلنوا الإيمان بما أرسل به، وما أرسل به لا يخضع لأساطير التشويه لأنهم على يقين من أمرهم. ولا يهتز أمام السخرية والإستنكار، لأنه راسخ في أعماق الفطرة وأعماق الوجود، ولا يخاف من سياسات التجويع والتخويف، لأن من عرف الحق لا يجوع ومن تمسك بالصبر لا يخاف (60).

وكان مقتضى مطابقة الجواب للسؤال أن يقولوا: نعم، أو نعلم أنه مرسل من ربه، أو إنا برسالته عالمون، ولكنهم أجابوا بما يستلزم هذا المعنى ويزيد عليه؛ وهو أنهم علموا بذلك علما يقينيا إذ عانيا، له السلطان على عقولهم وقلوبهم، إذ آمنوا به إيمانا صادقا كاملا فصار صفة من صفاتهم الراسخة التي تصدر عنها أعمالهم (61).

وعدولهم عن قولهم "هو مرسل" إلى قولهم "إننا بما أرسل به مؤمنون" في غاية الحسن؛ إذ أمر رسالته معلوم واضح مُسَلَّم لا يدخله ريب لما لا أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم، فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته ولا أن يستفهم عن العلم بإرساله (62).

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية وفي المقابل نقف مع جواب الملام المستكبرين والذي صيغ بالجملة الإسمية المؤكدة "إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ"، وهو ينبئ كذلك عن ثقة بالنفس، ولكن شتان بين الثقتين، فالثقة هنا ثقة مستندة على الأسباب المادية، ثقة وهمية مزوجة بالغرور، يعززها الأتباع فتكون دافعا لاستمرارهم على نهجهم من الاستعلاء والاستبداد.

أما مشهد سبأ فيكشف لنا الحوار فيه عن صورة مفارقة في شخصية المستضعفين الكافرين في الدنيا عن الآخرة، يسعى المستضعفون من خلالها إلى تعديل الصورة المغلوطة التي رسموها في الدنيا عن ذواتهم من الذل والهوان، واستعادة ثقتهم التي تخلوا عنها طوعا واختيارا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَننَّ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَننَّ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

فالتعبير بالفعل المضارع " يَقُولُ " فيه استحضار لحالة القول "لأنها حالة غريبة لما فيها من جرأة المستضعفين على المستكبرين ومن تنبه هؤلاء من غفلتهم عما كان المستكبرون يغرونهم به حتى أوقعوهم في هذا المأزق. " يقولون لهم هذه القولة الجاهرة اليوم؛ ولم يكونوا في الدنيا بقادرين على مواجهتهم هذه المواجهة. كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام، وبيع الحرية التي وهبها الله لهم، والكرامة التي منحها إياهم، والإدراك الذي أنعم به عليهم. أما اليوم وقد سقطت القيم الزائفة، وواجهوا العذاب الأليم، فهم يقولونها غير خائفين ولا مبقين... ولو كانوا في الدنيا، لقبع المستضعفون لا يَنْبِسُونَ بِنْتِ شَقَّةٍ ولكنهم في الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة؛ وتفتح العيون المغلقة، وتظهر الحقائق المستورة" (63).

ومرة أخرى تستوقفنا نفسية المستكبر، فثمة ملامح من الثقة بالنفس "أَخْرُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ" فصوت الاستفهام الذي يفيد معنى الإنكار "والضمير المنفصل (نحن) بالإضافة إلى الضمير المتصل (نا) في (صَدَدْنَاكُمْ) كلها توحى بالانفعال والقوة. كما نرى عبارتهم في الرد مختزلة وحاسمة كأنها حقيقة لا تقبل النقاش " بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ " . وهكذا يتبين لنا من خلال المواقف الحوارية التي عرضنا لها أن الاستضعاف لا ينشأ إلا عن قابلية الهزيمة في النفوس فالمهزوم نفسياً ضعيف الثقة في نفسه وإيمانه، وتفكيره وسلوكه، مُعْظَمٌ لغيره من أصحاب النفوذ ولو كان على حساب دينه ومبادئه كما أن الاستكبار لا ينشأ إلا بسبب الاستضعاف.

فالاستكبار والاستضعاف هما اشتقاقان من مرض نفسي واحد. تبدأ أعراضه الأولى من المستضعف ابتداءً الذي يهيئ المناخ الملائم للمستكبر الذي يهيئ المناخ الملائم للمستكبر ليقوم بدوره في الاستبداد. فالاستكبار ليس مرضاً مستورداً من الخارج، بل هو لازمة لوجود حالة التفكك في شخصية المستضعفين، ساعد عليها توافر الإمكانيات المادية بيد المستكبر " الاستبداد"⁽⁶⁴⁾.

إننا في أشد الحاجة إلى تعرية هذا المرض الخبيث؛ مرض الهزيمة النفسية ولا بد لنا ونحن نعالج هذا الواقع من " أن نركز وسائل العزة والنهوض ، وأن نعالج الخلل الذي سبب النكسة والتراجع، وأن نضع أيدينا على الجرح ونُشخص الداء ونأتي بالدواء، وأن لا نسمح لليأس أن يتسرب إلى قلوب عوام الناس"⁽⁶⁵⁾.

إن إعادة بناء الثقة في النفوس يتطلب "رفع مستوى دافعية الذات، واستمراريتها للحياة والعمل والعطاء والمضي مع حركة الكون نشاطاً وحيوية ومثابرة لأن الحياة ليست على نسق واحد، ففيها من المتاعب والآلام، ولكنها تتطلب نفوساً قوية، ومعنويات عالية، وهمة متقدة، وأمل بسام"⁽⁶⁶⁾.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

المطلب الرابع: اليقين:

اليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتفى منه كل ريب وشك وسخط وغم وهم، وامتلاً محبة لله وخوفاً منه ورضا به وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإجابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل له⁽⁶⁷⁾.

والهدف من إيراد هذا المشهد الحوارى اليقين بعود الله، والتحذير من عود الشيطان التي يزينها لأتباعه في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: 22].

لا بد من موقف نتخيله سبق قول الشيطان، موقف الأتباع له؛ ذلك أنهم اجتمعوا واتفقوا على محاسبته ومطالبته بتنفيذ وعوده التي وعدهم إياها في الدنيا؛ وزين لهم بها المعاصي، ثم هي اليوم وعود تخلف وكذب.

يتصارخون بملء أفواههم، والصراخ: "الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة وقيل الصراخ الصوت الشديد أياً ما كان، والصراخ المستغيث والمصرخ المغيث" (68)

يدهشنا القرآن الكريم بجزالة ألفاظه وفخامة معانيه، كل لفظة لها صوتها الذي يتناسب مع أصداؤها، تسمع كلمة "مُصْرِخٍ" في الآية" فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة" (69).

وأمام موقف الأتباع، ما كان من الشيطان إلا أن أطلق كلماته هذه، محاولاً قدر الإمكان أن يخفي حزيه فقد قُضي الأمر وتم الشأن.

ومعنى إتمامه: ظهوره وهو أمره تعالى بتمييز أهل الضلالة وأهل الهداية، وذلك بتوجيه كل فريق إلى مقره الذي استحقه بعمله" (70).

وإن شخصية الشيطان تبدو هنا كما يقول سيد قطب "على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء وشخصية المستكبرين في هذا الحوار... الشيطان الذي وسوس في الصدور وأغرى بالعصيان، وزين الكفر، وصددهم عن استماع الدعوة... هو الذي يقول لهم وهو يطعنهم طعنة أليمة نافذة، حيث لا يملكون أن يردوها عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، ثم يحزهم وخزة أخرى بتعبيرهم بالاستجابة له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهم تخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عداة قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة وتركوا دعوة الحق من الله، ثم يخلي بهم، وينفض يده منهم. (71).

إن هذا الإبداع في تصوير الموقف الفريد، الذي يتخلى فيه التابع عن المتبوع، ويتنكر المتبوع للتابع، حيث لا يجدي أحدا منهم أن يتخلى أو يستمسك؛ ولكنها طبيعة كل فريق تبرز عارية أمام الهول العظيم، وإن الشيطان هنا لمنطقي مع نفسه، ومع الصورة التي يرسمها القرآن له وإلا فما يكون شيطانا بغير هذا التلاعب والتبجح والإنكار. (72).

ونستدل من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ نفى الهيمنة الحقيقية للشيطان على الإنسان؛ فهو لا يملك السلطة المطلقة لإغوائه، وليس له إلا الوسوسة، فالإنسان هو من يسلم نفسه لوساوسه بالابتعاد عن اللجوء لله تعالى والاستعادة منه.

يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية: "وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم، فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه" (73).

والاستئناف في قوله تعالى على لسان الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ فيه إظهار لمزيد من التبرؤ في كفره بإشراك أتباعه إياه في الدنيا، وإنكاره لأي علاقة بينه وبينهم. (74).

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية إن اليقين عندما يكون حقيقة راسخة وحاضرة في الذهن، وواقعا معاشا، فإنه سرعان ما يثمر كمال العبودية في أروع صورها من الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه والاجتهاد في طاعته، فإن اليقين الراسخ بوعد الله تعالى يُعد من أعظم الحوافز الدافعة إلى العمل الصالح واستقامة السلوك التي يتميز أهل الإيمان والطاعة عن أهل الكفر اعتقادا وسلوكا⁽⁷⁵⁾.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

نخلص من هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. استنباط أبرز القيم النفسية من مشاهد الحوار بين المستضعفين والمستكبرين من سور (الأعراف، إبراهيم، سبأ، الصافات، غافر)، وقد تجسدت في أربعة مطالب من وجهة نظر الباحثين وهي: - الحرية - المسئولية الفردية - الثقة بالنفس - اليقين .
2. أهمية القيم النفسية في حياة الأفراد والجماعات؛ فهي تُشكل جوانب شخصية الفرد كالجانب الإيماني والجانب النفسي والجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي، كما أنها تعد ركيزة من ركائز المجتمع.
3. إن دراسة القيم النفسية من خلال القرآن الكريم يساعد على حل كثير من المشكلات المعاصرة .
4. إن مشاهد الحوار بين المستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم، لها تأثير على النفوس بما فيها من قيم تدعو إلى التأمل والتدبر.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما تقدم نوصي بالآتي:

1. الاهتمام بالبناء النفسي عند البدء بأي إصلاح وذلك من خلال تمكين القيم الإيجابية في النفوس
2. إيلاء الدراسات النفسية في القرآن الكريم مزيداً من الاهتمام؛ فعلى الباحثين استنباط المزيد من القيم وتفعيلها في ضوء القرآن الكريم.

3. إصلاح المناهج التربوية بحيث تُهيئ الأجيال تهيئة نفسية سوية على القيم الإيجابية، وتعزيز الذات وذلك من خلال تضمين المقررات الدراسية جزءاً من الدراسات النفسية وتدريب الطلبة على الحوار البناء .
4. عمل دراسات مُشتركة بين أهل الاختصاص من علم النفس وأهل الاختصاص من الشريعة في هذا المجال .
- هذه أهم النتائج والتوصيات، نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يُثقل به الموازين. والحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

- ¹ ينظر الجوهرى، أبو نصر اسماعيل بن حماد (393هـ-1003م)، الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ/1987م، ط4، ص2017.
- ² ينظر ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت711هـ-1311م)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ-1993م، 5/3781.
- ³ ينظر الفيروز آبادي. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت817هـ-1415م). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ-2005م، ص1125.
- ⁴ ينظر أنيس، إبراهيم أنيس وآخرون (ت1397هـ-1977م). المعجم الوسيط. ط4، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1425هـ-2004م، ص68.
- ⁵ ينظر ابن منظور، لسان العرب، 12/224.
- ⁶ ينظر الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الزقاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت1205هـ-1790م). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة محققين، ط1، بيروت: دار الفكر، 1994م-1414هـ، 17/597.
- ⁷ ينظر الجلاد. ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها. ط2، عمان: دار المسيرة، 1428هـ-2007م، ص21.
- ⁸ ينظر ابراهيم، مجدي عزيز. موسوعة المعارف التربوية. ط1، الرياض: عالم الكتب، 1428هـ-2007م، ص2575.
- ⁹ ينظر خليفة، عبد اللطيف محمد. ارتقاء القيم "دراسة نفسية". ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1410هـ-1990م، ص151.
- ¹⁰ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ-1111م). معارج القدس في مدارج معرفة النفس. ط2، بيروت: دار الآفاق، 1394هـ-1975م، ص13.
- ¹¹ ينظر الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ-1111م). إحياء علوم الدين. ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1425هـ-2005م، 4/3.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

- ⁽¹²⁾ ينظر الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت816هـ-1413م). التعريفات. ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م، ص.262.
- ⁽¹³⁾ ينظر طه، فرج عبد القادر طه. أصول علم النفس الحديث. القاهرة: دار قباء، 2000م، ص25.
- ⁽¹⁴⁾ ينظر قمحية، حسان العمد، وسمير، عمار سمير، وقصصاني، معتز قصصاني، الطب النفسي. دار الألباب، ط.1، دمشق: دمشق، 1413هـ-1993م، ص2.
- ⁽¹⁵⁾ ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت395هـ-1004م). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ-1979م، 3/362.
- ⁽¹⁶⁾ ينظر عبد الباقي، محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح(ت1388هـ-1967م). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. القاهرة: دار الحديث، 1364هـ-1944م، ص.517.
- ⁽¹⁷⁾ ينظر : أوعيشة، مصطفى أوعيشة. مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن. ط.1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، 1436هـ-2014م، ص47.
- ⁽¹⁸⁾ ينظر: بدران، غسان عاطف. المستكبرون والمستضعفون "دراسة قرآنية". رسالة ماجستير، إشراف: أحمد نوفل، الجامعة الأردنية، الأردن، 1988م، ص10.
- ⁽¹⁹⁾ ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة "كبر"، 154/5.
- ⁽²⁰⁾ ينظر الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت502هـ-1108م). المفردات. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، بيروت: دار الأرقم، ب1412هـ-1992م، ص697.
- ⁽²¹⁾ ينظر: أوعيشة، مفهوم الإستكبار والإستضعاف في القرآن. ص25.
- ⁽²²⁾ ينظر: عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. ص693.
- ⁽²³⁾ ينظر: الكنفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني(ت1094هـ-1683م). الكليات. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط.2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ-1998م، ص28.
- ⁽²⁴⁾ ياسين، عبد السلام بن محمد بن سلام. الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية. 1987م، د. ت، ص122.
- ⁽²⁵⁾ ينظر بمحت، أحمد شفيق(1433هـ-2011م). مقال "الله والحرية، الأهرام، السنة 114، ع. 37681، 1410هـ-1990م، ص2.
- ⁽²⁶⁾ الحبيب، طارق علي. "الحرية حاجة نفسية". www.al-sharq.com، استرجع بتاريخ 2-9-2020م.
- ⁽²⁷⁾ الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر(ت606هـ-1210م). مفاتيح الغيب. ط.1، بيروت-دمشق: دار الفكر، 1981م-1401هـ، ص85.
- ⁽²⁸⁾ ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر(ت1404هـ-1984م). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " التحرير والتنوير ". ط.2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1404هـ-1984م، 14/216.
- ⁽²⁹⁾ النابلسي، محمد راتب. "سورة ابراهيم"، www.nabulsi.com، استرجع بتاريخ 2-9-2020م.
- ⁽³⁰⁾ ينظر قطب، سيد قطب الشاذلي(ت1386هـ-1966م). في ظلال القرآن. ط.32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ-2002م، 4/2095.
- ⁽³¹⁾ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ص85.

- ⁽³²⁾ ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي. الأتباع والمتبوعون في القرآن. ط.1، عمان: دار المنار للنشر، 1996م-1417هـ، ص83.
- ⁽³³⁾ ينظر: موسى، محمد موسى، مقال بعنوان: " الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير"، [www. quran-m.com](http://www.quran-m.com) استرجع بتاريخ 5-9-2020م.
- ⁽³⁴⁾ ينظر الجيوسي، عبد الله محمد الجيوسي (ت 1432هـ - 2011م). أسلوب الحوار في القرآن: خصائصه الإعجازية وأسواره النفسية. المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مج1، ع2، 1426هـ- 2006م، ص117.
- ⁽³⁵⁾ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 216/14.
- ⁽³⁶⁾ المرجع السابق، 216/14.
- ⁽³⁷⁾ سيد قطب، في ظلال القرآن، / 3084/5.
- ⁽³⁸⁾ ينظر قطب، سيد قطب (ت1386هـ - م1966). العدالة الاجتماعية في الإسلام. ط.13، القاهرة، دار الشروق، 1413هـ- 1993م، ص36.
- ⁽³⁹⁾ الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد (ت1320هـ - 1903م). طابع الاستبداد ومصارع الاستعباد. حلب، المطبعة العصرية، 1432هـ- 2011م، ص18.
- ⁽⁴⁰⁾ ينظر: فضل الله، محمد حسين (ت1432هـ - 2011م). الندوة. ط.3، بيروت: دار الملاك، 1417هـ- 1997م، 24/1.
- ⁽⁴¹⁾ ينظر: دراز، محمد عبد الله دراز (ت1377هـ- 1958م). دستور الأخلاق في القرآن ط.7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ- 1987م، ص137.
- ⁽⁴²⁾ ينظر الألوسي، محمود شهاب الدين (ت1270هـ- 1854م). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. المحقق علي عبد الباري، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م، 79/12.
- ⁽⁴³⁾ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت1332هـ - 1914م). محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1997م، 207/8 بتصرف.
- ⁽⁴⁴⁾ بكار، عبد الكريم محمد الحسن. نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي. ط.3، دمشق: دار القلم، 1432هـ - 2011م، ص66.
- ⁽⁴⁵⁾ ينظر فضل الله . الحوار في القرآن. ط.5، بيروت: دار الملاك، 1416هـ - 1996م، ص395.
- ⁽⁴⁶⁾ ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 2907/5.
- ⁽⁴⁷⁾ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 207/23.
- ⁽⁴⁸⁾ ينظر المرجع السابق، 208/23.
- ⁽⁴⁹⁾ ينظر سعيد، جودت سعيد محمد. حتى يغيروا ما بأنفسهم. ط.8، القاهرة: مؤسسة الإسراء للنشر، 1418هـ - 1998م، ص171.
- ⁽⁵⁰⁾ ينظر: الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. تفسير آية 54 من سورة يونس، 137/11.
- ⁽⁴⁹⁾ ينظر: السباعي، مصطفى حسني (ت1383هـ - 1964م). أخلاقنا الاجتماعية. مكتبة الشباب، دمشق، د. ت، ص33.
- ⁽⁵⁰⁾ ينظر النغمشي، نبيلة النغمشي. دعهم يتذمرون. ط.2، الكويت: مكتبة آفاق، 1435هـ - 2014م، ص54.
- ⁽⁵³⁾ ينظر فضل الله، الحوار في القرآن، ص352.

— القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية

- ⁵⁴ ينظر: الجري، عباس الجري. الإنسان في الإسلام "ماهيته وحقيقته ووجوده". الرياض: مط. الأمنية، 1417-1997م، ص37.
- ⁵⁵ ينظر: خليل، عماد الدين خليل. مقال في العدل الاجتماعي. بيروت: دار ابن كثير، 1427هـ-2006م، ص97.
- ⁵⁶ ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/439.
- ⁵⁷ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/222.
- ⁵⁸ ينظر المرجع السابق، 9/222 بتصرف.
- ⁵⁹ ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1313.
- ⁶⁰ ينظر أيوب، سعيد أيوب. الإنحرافات الكبرى. ط1، بيروت: دار الهادي، 1412هـ، 1992م، ص107.
- ⁶¹ ينظر أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ-1344م). البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، 5/94.
- ⁶² ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/205.
- ⁶³ ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1313.
- ⁶⁴ ينظر النصيرات، جهاد محمد فيصل، رسالة ماجستير، الظلم في القرآن "دراسة موضوعية"، إشراف فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية، الأردن، 1420هـ-2000م، ص78.
- ⁶⁵ ينظر المجالي، محمد خازر صالح، أهمية الثقة في تطلعات الشباب، بحوث المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب، 1436هـ - 2015م، ص1862.
- ⁶⁶ ينظر سعيد، سعاد سعيد، علم النفس المقارن، عالم الكتب، ط1، الأردن، 1425هـ-2005م، ص22.
- ⁶⁷ ينظر نوفل، أحمد إسماعيل نوفل. تفسير سورة الحجر. ط1، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن، 1440هـ - 2019م، ص442.
- ⁶⁸ ينظر ابن منظور. لسان العرب، 8/222.
- ⁶⁹ ينظر قطب، سيد قطب(ت1386هـ-1966م). التصوير الفني في القرآن. ط12، القاهرة: دار الشروق، 1412هـ-1992م، ص92.
- ⁷⁰ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/218.
- ⁷¹ ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/2095.
- ⁷² ينظر سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص246.
- ⁷³ ينظر الزنجشيري. أبو القاسم محمود بن عمرو(ت538هـ-1143م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، بيروت: دار الكتاب، 1407-1987م، 2/550.
- ⁷⁴ القاسمي، محاسن التأويل، 10/3725.
- ⁷⁵ ينظر الشلول، زكريا إبراهيم، أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني، الأردن: دار الكتاب الثقافي، 1425هـ-2005م، ص235.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

01. إبراهيم أنيس وآخرون (ت.1397هـ). المعجم الوسيط. ط.4، القاهرة-مصر: مجمع اللغة العربية، 1425هـ-2004م.
02. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي(ت.1094هـ). الكليات. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط.2، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م.
03. أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت.538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط.3، بيروت-لبنان: بيروت-لبنان: دار الكتاب، 1407-1987م.
04. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت.505هـ). إحياء علوم الدين. ط.1، بيروت: دار ابن حزم، 1425هـ-2005م
05. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت.505هـ)، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط.2، بيروت-لبنان: دار الآفاق، 1394هـ - 1975م
06. أبو حيان الأندلسي. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ). البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد، د.ط، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1420هـ- 1999.
07. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي (ت.817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط.8، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1426هـ-2005م.
08. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت.606هـ). مفاتيح الغيب. ط.1، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1401هـ-1981م.
09. أحمد إسماعيل نوفل. تفسير سورة الحجر. ط.1، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن، 1440هـ - 2019م .
10. أحمد شفيق بيجت (1433هـ). الله والحريّة. مصر: جريدة الأهرام، 1410هـ-1990م.
11. اسماعيل بن حماد الجوهري (ت.393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عطار، ط.4، بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، 1407هـ-1987م.
12. الانحرافات الكبرى. سعيد أيوب. د. ط، بيروت-لبنان: دار الهادي، 1412هـ، 1992م.
13. الإنسان في الإسلام "ماهيته وحقيقته ووجود. مطبعة الأمنية". عباس الجزائري، د. ط، الرباط-المغرب، 1417-1997م.
14. جودت سعيد محمد. حتى يغيروا ما بأنفسهم. ط.8، القاهرة -مصر: مؤسسة الإسراء للنشر، 1418هـ-1998م.
15. حسان العمدة قمحية، سمير عمار، معتز قعصراني. الطب النفسي. ط.1، دمشق-سوريا: دار الألباب، 1413هـ-1993م.
16. كريا ابراهيم الشلول. أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني. الأردن: دار الكتاب الثقافي، 1425هـ-2005م.
17. السباعي. مصطفى حسني السباعي. أخلاقنا الإجتماعية. د. ط، دمشق-بيروت: مكتبة الشباب، د. ت.

- القيم النفسية المستنبطة من الحوار بين المُستضعفين والمستكبرين في القرآن الكريم "دراسة موضوعية
18. سعاد سعيد. علم النفس المقارن. ط.1، الأردن: عالم الكتب، 1425هـ-2005م.
19. سيد قطب الشاذلي(ت1386هـ). العدالة الاجتماعية في الإسلام. ط.13، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1413هـ-1993م.
20. سيد قطب الشاذلي (ت.1386هـ). في ظلال القرآن. ط.32، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1423هـ-2002م.
21. سيد قطب(ت1386هـ). التصوير الفني في القرآن. ط.12، القاهرة-مصر: دار الشروق، 1412هـ-1992م.
22. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي(ت.1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري، ط.1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م.
23. صلاح عبد الفتاح الخالدي. الأتباع والمتبعون في القرآن. ط.1، عمّان-الأردن: دار المنار للنشر، 1996م-1417هـ.
24. عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي (ت.1320هـ). طبائع الاستبداد ومضارح الاستعباد. د. ط، حلب-سوريا: المطبعة العصرية، 1432هـ-2011م.
25. عبد السلام بن محمد بن سلام ياسين (1434هـ). الإسلام وتحدّي الماركسية اللينينية. د. ط، 1407هـ/1987.
26. عبد الكريم محمد الحسن بكار. نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي. ط.3، دمشق-سوريا: دار القلم، 1432هـ-2011م.
27. عبد اللطيف محمد خليفة. ارتقاء القيم "دراسة نفسية". ط.1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1410هـ-1990م.
28. علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت.816هـ). التعريفات. ط.1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م.
29. عماد الدين خليل. مقال في العدل الاجتماعي. د.ط، بيروت-لبنان: دار ابن كثير، 1427هـ-2006م.
30. فرج عبد القادر طه. أصول علم النفس الحديث. د.ط، القاهرة-مصر: دار قباء، 2000م.
31. ماجد زكي الجلاد. تعلم القيم وتعليمها. ط.2، عمّان-الأردن: دار المسيرة، 1428هـ-2007م.
32. مجدي عزيز ابراهيم، موسوعة المعارف التربوية، ط.1، الرياض-المملكة العربية السعودية: عالم الكتب، 1428هـ-2007م.
33. محمد الطاهر ابن عاشور(ت1404هـ). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "التحرير والتنوير. ط.2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1404هـ-1984م.
34. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي(ت1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة محققين، ط.1، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1414هـ-1994م.
35. محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور (ت.711هـ). لسان العرب. ط.3، بيروت-لبنان: دار صادر، 1414هـ-1993م.

36. محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (ت.1332هـ). محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م.
37. محمد حسين فضل الله (ت.1432هـ). الندوة. ط.3، بيروت-لبنان: دار الملاك، 1417هـ-1997م .
38. محمد عبد الله دراز (ت.1377هـ). دستور الأخلاق في القرآن. ط.7، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1407هـ-1987م.
39. محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح (ت.1388هـ). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. د.ط، القاهرة-مصر: دار الحديث، 1944م-1364هـ.
40. مصطفى أوعيشة. مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن. ط.1، القاهرة-مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1436هـ-2014م.
41. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت.502هـ). تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، بيروت-لبنان: دار الأرقم، 1412هـ-1992م.
42. نبيلة سليمان النغمشي، دعهم يتدمرون، ط.2، الكويت، 1435هـ-2014م.
43. أهمية الثقة في تطلعات الشباب. محمد خازر صالح المجالي. بحوث المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب، 1436هـ-2015م.
44. أسلوب الحوار في القرآن: خصائصه الإعجازية وأسواره النفسية، عبد الله محمد الجيوسي (ت. 1432هـ). المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، الأردن: جامعة آل البيت، مج1، ع2، 1426هـ-2006م .
45. جهاد محمد فيصل النصيرات، الظلم في القرآن "دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير، إشراف فضل حسن عباس، الأردن: الجامعة الأردنية، 1420هـ-2000م
46. غسان عاطف بدران، المستكبرون والمستضعفون دراسة قرآنية"، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد نوفل، الأردن: الجامعة الأردنية، 1408هـ-1988م.

مواقع الكترونية:

46. www.nabulsi.com /بتاريخ 2-2-2021م.
47. www.al-sharq.com /بتاريخ 2-2-2021م.
48. www. quran-m.com / بتاريخ 10-3-2021م.